45 - السيدة أم علقمة

في أحد بيوت المدينة المتواضعة كانت تعيش عجوزٌ اختلط سواد شعرها ببياضه، وكانت تدعى «أم علقمة»، وكانت سعيدة بدين الإسلام، شاكرة لله أن هداها إليه، حامدة له تلك النعمة التي أنقذها بها من النار، بمنِّه وكرمه وفضله.

ولكن كان هناك أمرٌ واحدٌ يُنَغِّصُ على أم علقمة حياتها، ويسبِّب لها الألم والحزن، ذلك أن ابنها علقمة لم يكن برّاً بها، لأنه كان يطيع زوجه، ويعقُّ أمه على الرغم من أوامر الإسلام ببر الوالدين، وتشديده النكير على الأبناء العاقِّين.

ولم يكن علقمة يفكر في عاقبة عقوقه لوالدته، وما ينتظره من سوء المصير، ذلك لأن الدنيا لفَّته بُملاءتها، وشغلته عن الآخرة وألهته عن حق المرأة التي ربَّته حتى أصبح زوجاً، ولم يدر بخَلَدِ علقمة أن الموت لا يبدأ بالكبير ولا يؤجِّل الصغير، فكم من طفلٍ ترك الحياة وأجداده فوق الأرض يتحرَّكون!!

ومرض علقمة، ولزم فراشه، وجاء أصحابه يعودونه، وأخذ مرضه يشتدُّ شيئاً فشيئاً حتى أصبح على شفا الهلاك، فقام رجلٌ منهم، ودنا منه، وقال له: يا علقمة، قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وحاول علقمة ذلك عدة مرات، غير أنه لم يستطع.

وفزع الرجل على صاحبه وراح يعدو إلى رسول الله ﷺ، فلما دخل عليه وهو بين أصحابه قال لاهثاً: يا رسول الله، إن علقمة يموت وسألته أن ينطق بالشهادة إلاَّ أنه لم يستطع، وسأله النبي ﷺ: «**هَلْ كَانَ يُصَلِّي؟**» قال: نعم، يا رسول الله، فقام النبي ﷺ وأصحابه إلى دار علقمة، فلما رآه قال له:

«**يَا عَلْقَمَةُ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ**»، قال: إني لا أستطيع يا رسول الله، فسأله النبي ﷺ: «**وَلِمَ؟**» فقال بعض أهل بيته: كان يطيع زوجه، ويعقُّ أمه، فقال رسول الله ﷺ: «**أَحَيَّةٌ وَالدَتُهُ؟**» قالوا: نعم، قال: «**اِدْعُوهَا**».

وجاءت أم علقمة تتوكَّأ على عصاها فسألها رسول الله ﷺ: «**أَهَذَا ابْنُكِ؟**» قالت: نعم، فقال النبي ﷺ: «**أَرَأَيْتِ لَوْ أُجِّجَتْ نَاراً ضَخْمَةً فَقِيلَ لَكِ: إِنْ شَفَعْتِ لَهُ خَلَّيْنَا عَنْهُ، وَإِلاَّ حَرَقْنَاهُ بِهَذِهِ النَّارِ، أَكُنْتِ تَشْفَعِينَ لَهُ؟**»، قالت: نعم، يا رسول الله، أشفع، قال: «**فَأَشْهِدِي اللهَ وَأَشْهِدِينِي أَنَّكِ قَدْ رَضِيتِ عَنْ عَلْقَمَةَ**»، فدنت من ابنها، ووضعت يدها على رأسه ثم قالت: اللهمَّ إني أُشهدك، وأُشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني علقمة.

فقال رسول الله ﷺ لعلقمة: «**قُلْ: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» فقال علقمة: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

وهكذا منع العقوق علقمة من الشهادة، فلما رضيت عنه أمه نطق بها، فقال رسول الله ﷺ: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**»، ثم مات علقمة، رحمه الله تعالى، ورحم أمه.